

النص الأول (الصدق) ^(١)

إنَّ اللهَ خلقَ السماواتِ والأرضَ بالحقِّ، وطلبَ إلى النَّاسِ أن يبنوا حياتهم على الحقِّ، فلا يقولوا إلا حقًّا، ولا يعملوا إلا حقًّا. وحيرةُ البشرِ وشقوتهم، ترجعُ إلى ذهولهم عن هذا الأصلِ الواضحِ، وإلى تسلُّطِ أكاذيبِ وأوهامِ على أنفسهم وأفكارهم، أبعدتهم عن الصراطِ المستقيم، وشردت بهم عن الحقائق التي لا بدَّ من التزامها.

فتجد بعضَ الناسِ يخطئون الطريقَ، ويقعون في الكذبِ والظنِّ، فتتعب قلوبُهم وتضطرب حياتُهم. وهذا الأمرُ لا يضرُّ صاحبه وحده، بل يمتدُّ ضرره على المجتمعِ كلّهِ؛ فإذا شاعَ الكذبُ، وتفشَّت الإشاعاتُ بينَ النَّاسِ ضاعت الثقةُ، وتلاشت القيمُ، وحلَّ الشكُّ والخوفُ مكانَ الأمنِ والاطمئنانِ، وعندها ستضعف الروابطُ، ويهتزُّ بناءُ المجتمعِ.

لهذا كان الصدقُ أساسًا ثابتًا في حياة المسلمين، فالمجتمعُ الإسلامي يقومُ على نُبذِ الإشاعاتِ ومُحاربةِ الظنُونِ؛ لأنَّ الحقائقَ الثابتةَ وحدها هي التي ينبغي أن يُعَوَّلَ عليها في الحكمِ على الأشياءِ، وفي المعاملةِ بينَ النَّاسِ. ولذا يحرص المسلمون على الالتزام بالصدق في القولِ والعملِ.

١- من كتاب خُلُق المسلم. تأليف: محمد الغزالي. ١٩٨٧. ص ٣٤. (بتصرف)

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - حذرنا من سوء الظن والكذب، بقوله: " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ " (١). وقد بيّن القرآن الكريم أثر الظن السيئ في قوله تعالى: " وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا " (٢).

ولا يقتصر الصدق على الكبار، بل حرص الإسلام على تنشئة الأطفال منذ صغرهم على مبدأ الصدق؛ ليشبوا عليه خلقاً راسخاً في حياتهم. ومثال ذلك ما روي عن عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - حين قال: " دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: " تَعَالَ أَعْطُكَ ". فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ - صلى الله عليه وسلم -: " مَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ " قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا: " أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ " (٣).

وهكذا علّم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الآباء والأمهات أن يُربّوا أبناءهم على الصدق منذ الصغر؛ ليكبروا وهم يقدّسون هذه الفضيلة السامية، ويتعدون عن الكذب ومفاسده.

وللعمل الصادق دورٌ كبيرٌ في نهضة الأمم ورقيّها؛ إذ يشيع الاطمئنان بين أفرادها، وتترسخ الثقة في مؤسساتها، فيصفو التعاون وتشتدّ أواصر الوحدة والتماسك. ومتى التزم الناس الصدق في أقوالهم وأعمالهم، نمت حضارتهم، وازدهرت حياتهم، وارتفع شأنهم بين الأمم. أمّا إذا استبدّ بهم الكذب، وسادت بينهم الخديعة والتزييف، ضعفت الروابط، وتهافت القيم، وتفرّق الشمل، فسرعان ما يهتّر كيان المجتمع ويقع في هوة الضعف والتأخر.

١ - الترمذي.

٢ - سورة النجم. الآية ٢٣

٣ - أبو داود.